الفصل السابع

التبشير والمبشرون

استخدم أعداء الإسلام سلاحين خطيرين - غير ما تقدَّم - فى مواجهتهم للإسلام ، أو هما جيشان لهما ملمس الحرير ، وسم الأفاعى الرقش . وهما المبشِّرون وتلاميذهم المستشرقون . ونقدِّم الحديث هنا عن المبشرين ؛ لأنهم أسبق وجوداً من المستشرقين ، وأساتذه لهم فى نفس الوقت .

وعند الحديث عن المبشِّرين نشير إلى أن هذه التسمية « المبشِّرون » إحدى خطط التمويه التى يتبعها الغرب فى الكيد للإسلام . فالبشارة لا تكون إلا فى الخير ، والمبشِّرون الذين نتحدث عنهم أبعد ما يكونون عن الخير . فالمبشِّر فى الأصل هادٍ وداعٍ إلى الحق . والمبشِّرون هؤلاء إنما هم دعاة فتنة وضلال وباطل . وسموا « مبشِّرين » للتضليل والتمويه وإخفاء وجوههم الحقيقية القبيحة .

والوصف الذى ينطبق عليهم تمام الانطباق أنهم : مضلِّلون خادعون دُعاة زيف وباطل . فهم - إذن - المضلِّلون الخادعون ، وليسوا مبشِّرين ، وبينهم وبين « البشارة » ما بين الظلام والنور ، وما بين الأرض والسماء . هذا ما يجب أن يفطن إليه القارىء من ألاعيب التمويه والخداع .

* *

● أهداف التبشير :

من الأمور التى يجب أن نعيها دائماً فى موضوع التبشير أن له هدفين كبيرين سنذكرهما بعد قليل . وأن اليهودية والنصرانية تلتقيان عند هدفٍ واحدٍ منهما - سيأتى بيانه - وتنفرد النصرانية بالهدف الآخر : وهدفا التبشير الكبيران هما :

الأول : هدمى تدميرى ، ويُراد منه إما القضاء على الإسلام كليّةً - إذا أمكن وقوع هذا القضاء . أو تشويه حقائق الإسلام وإدخال الريب فى نفوس المسلمين فى كل ما يتصل بالإسلام . وحول هذا الهدف تلتقى اليهودية والنصرانية معاً . وجهودهما فيه مشتركة . واليهود قد حاولوا النَيْل من الإسلام من هذا المحور منذ ظهور الإسلام ، وكما مَرَّ فإنهم وضعوا كثيراً من الدسائس والتحريفات فى كتب تفسير القرآن الكريم ، وزوّروا أحاديث على صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم ، كما حاولوا تزوير وقائع السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى والدينى - وبخاصة قصص الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام . وكان قصدهم من هذه المحاولات تشويه حقائق الإسلام وإدخال الريب فى نفوس المسلمين حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبيّن لهم الحق .

أما الهدف الثانى للتبشير فهو هدف بنائى تشييدى . والمقصود منه الترويج للعقيدة التى يتبناها المبشّرون بين المسلمين ليرتدّوا عن إسلامهم ويعتنقوا العقيدة التى يُروِّج لها المبشّرون . وهذا الهدف مقصور على النصرانية ، فهى وحدها التى تمارس هذه « اللعبة » منذ حين . أما اليهودية ؛ فإنها ديانة مغلقة ، فليس لدى اليهود الرغبة فى جذب أحد إليها ؛ لأنها عندهم ترادف معنى الأصل السلالى أو الجنس ، أى أنها ديانة مَن كان يهودياً من نسل يعقوب عليه السلام ، فالمِلّتان - اليهودية والنصرانية - مجمعتان على هدم الإسلام ، ولعل القارىء الكريم يذكر ما ذكرناه من قبل عن « شاتلييه » وهو يحدد بكل وضوح أهداف المبشّرين ، وحصرها فى ركنين كبيرين - « الهدم » و « البناء » - ويتسع نطاق التبشير النصرانى - بعد الهدم - فى ممارسة الهدف الثانى وهو قيام النصرانية على أنقاض الإسلام ؟!

وهذا يضع أمامنا سؤالاً ذا خطر : متى بدأ التبشير النصرانى ؟ وهل هناك أسباب دعت إلى نشأته وتحمسه ؟

والجواب : إن معرفة الأسباب التى دعت إلى نشأته تحدِّد مولد تلك النشأة .

ولنأخذ فى الاعتبار أن النشأة وإن وُلِدت ضعيفة فإن أسبابها هى التى تتحكم بكل قوة فى خطر التبشير المعاصر وإتساع وسائله ، وتعدد أهدافه .

* *

● الأخذ بالثأر :

كانت الكنيسة فى الغرب تسيطر على حياة الناس ، وتدَّعى أنها هى مصدر المعرفة الحقة ، ولا مصدر للمعرفة سواها . وفشلت فشلاً زريعاً فى تقديم معرفة صحيحة . وظلّت تفرض سلطانها إلى منتصف القرن الثامن عشر من الميلاد على كل الشئون ، وفى غضون تلك المدة قامت حركات إصلاح فى أوروبا مناوئه للفكر الكنسى من جهة ، ومجارية لبعض منه من جهة أخرى ، وأبرز تلك الحركات حركة « مارتن لوثر » ، ثم « كالفن » من بعده ، ولكن تلك الحركات وقفت عند حدٍ معيَّن ، فظلت المشكلة قائمة إلى أن ظهر الفكر العقلى أو « عصر التنوير » - كما يسمونه - فى تاريخ أوروبا الحديث ، وصار العقل منافساً خطيراً لمنهج رجال الدين ، واستمر خطره طوال النصف الثانى من القرن الثامن عشر . ثم أعقبه عصر العلم التجريبى (العلمانية) التى أطاحت بسلطان الكنيسة وسلطان العقل . وفرضت الاتجاه الأخير - العلمانية - الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ على فرنسا أولاً ثم على العالَم الأوروبى ثانياً ، فعصر التنوير العقلى والعلمانية كلاهما كانا رد فعل للتسلط الكنسى المشار إليه ، وإن انفردت العلمانية بمحاربة الاتجاهين : الدينى والعقلى .

* *

● الكنيسة تدين الإسلام :

والكنيسة - مع ذلك - تتجاوز بالوقوف أما عدوها المباشر (العقل - العلمانية) وتدين الإسلام . لأن حركات الإصلاح الأخيرة التى سبقت نهاية التسلط الكنسى كانت مدينة فعلاً للإسلام . فالإسلام هو الذى أيقظ الفكر العقلى ونماه فى أوروبا .. وعن الإسلام نقلت أوروبا أصول النهضة العلمية التى

غيَّرت مجرى التاريخ فيها . فقد نشطت الحركة العلمية فى الأندلس إبَّان سيادة المسلمين عليه ، فكثرت فيها المدارس ومعاهد العلم وحلقات الدرس فى شتَّى العلوم والفنون النظرية والعملية ، ورحل إلى معاهد العلم فى الأندلس الطلاَّب الغربيون ، بل وبعض علمائهم ، وبعد عودتهم إلى بلادهم نقلوا إليها معهم أصول الحضارة العربية الإسلامية . وما كانت نهضة العلوم فى أوروبا تعتمد على شئ مثل اعتمادها على ما تلقوه من معاهد العلم الإسلامية فى الأندلس ، سواء فى ذلك العلوم العقلية كالفلسفة ، والعلوم العملية كالطب . وإذا رجع القارىء إلى ما نقلناه من قبل عن « چورچ سارتون » سكنت نفسه إلى ما نقول هنا . وأسماء العلماء المسلمين كابن سينا ، والفارابى ، وابن الهيثم ، والمسعودى والغزالى كانت تحتل مكانة مرموقة بين أساتذة الجامعات وطلاَّبها فى أوروبا إلى عهد قريب .

أضف إلى ذلك الكم الهائل من الكتب العربية والإسلامية التى تُرجمت إلى اللغات الغربية ، وبعضها تُرجم أكثر من أربعين مرة قبل ظهور النهضة الغربية الحديثة . ولكى لا نطيل على القارىء نشير إليه بالرجوع إلى ما كتبه « شارل بروكلمان » فى كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » و « چوستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » ، وما كتبه الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه « أثر الحضارة العربية فى حضارة أوروبا » وسوف يرى مَن يطلّع على تلك المصنفات ، وغيرها كثير ، أن أوروبا مدينة فعلاً فى تقدمها الحضارى للفكر والحضارة الإسلامية وفيما نقلناه من قبل من اعترافات لقادة الفكر الأوروبى فى فصل : « الإسلام فى أوروبا » عند منصفيه تأكيد وترسيخ لما نسجله هنا . وكانت هناك معابر أخرى لنقل الحضارة الإسلامية الشرقية إلى الغرب غير الأندلس التى تقدَّم الحديث عنها منذ قليل . وقد ظلت الأندلس إسلامية من سنة ٧١١ م إلى سنة ١٤٩٢ م .

* فقد كان الشرق كله معبراً لنقل الحضارة الإسلامية إلى أوروبا إبَّان الحروب الصليبية ، وقد أتاحت هذه الحروب الفرصة لأوروبا نحو التقدم والازدهار العلمى .

* وكانت صقلية فى عهد الأغالبة منارة للعلم والمعرفة ، وظلت نهضتها العلمية حتى بعد ذهاب الدولة نفسها . واستفادت أوروبا من نهضة صقلية العلمية .

هذا الفضل العظيم الذى ناله الغرب من حضارة الإسلام ، واحد من الأسباب الذى أحنقت الكنيسة ورجالها عليه - على الإسلام - وسموه غزواً فكرياً من الشرق الإسلامى للغرب المسيحى ، وقد بادرت الكنيسة ، بمحاربة بعض مؤلفات العلماء المسلمين ، ومنها مؤلفات ابن رُشد ، فقد تنبهوا لأثرها بعد ترجمتها وقاموا بجمع نسخها وحرقوها ، وحظروا الاطلاع عليها إذا وُجِدت ، وحكموا على مَن يطلِّع على مؤلفات ابن رُشد بالهرقطة . فإن ما اقتبسته أوروبا من المعارف الإسلامية تعلَّم منه الأوروبيون كيف يفكرون ؟ وكيف يميِّزون بين الحقائق والأباطيل ، ولولا المد العلمى الذى استمدته أوروبا من حضارة الإسلام لطال عهد سيطرة رجال الدين على مجريات الحياة فى أوروبا . ولكن حضارة الإسلام ، وما أحدثته فى أوروبا من تغيير عجَّلت بنهاية الكنيسة . لذلك فإن رجال الكنيسة كيفما وأينما وُجدوا يُضمرون للإسلام كل عداء .. والحروب الصليبية كانت إحدى الوسائل التى أُريد منها وقف الإسلام عند حد معيَّن أو القضاء عليه إن أمكن ، وقد فشلت الحروب الصليبية فى تحقيق ما أُريد منها . بل زادت الصدور إيغاراً ، وأشعلت الحقد فى القلوب ناراً . وعادت الجيوش الأوروبية إلى حيث أتت تجر أذيال الخيبة ، بعد أن أوقع بهم الناصر صلاح الدين هزائم لا ينساها القوم هناك حتى تقوم الساعة .

* *

● التبشير بديل عن الحروب الصليبية :

ترجع بدايات التبشير إلى الفترة التى فشلت فيها الحروب الصليبية . وليس هذا السبب والتحديد (فشل الحروب الصليبية ثم قيام التبشير عقبها) اختراعاً أو تخميناً . بل هما حقيقة سجَّلها القوم فى مؤلفاتهم . فالمستر « إدوين بلس »

له كتاب سبقت الإشارة إليه ، وهو « مشروع التبشير » ذكر فيه صراحة سبب ابتداء التبشير ، ومتى بدأ فقال :

« إن « ريمون لول » الأسبانى هو أول مَن تولى التبشير بعد أن فشلت الحروب الصليبية فى مهمتها ، فتعلم « لول » اللغة العربية بكل صعوبة وجال فى بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين فى بلاد كثيرة » [١] .

فالتبشير - إذن - وسيلة من وسائل الحرب الباردة ضد الإسلام والمسلمين بعد أن فشلت الحرب « الساخنة » فى العصور الوسطى فى النَيْل من الإسلام بل عادت جيوش الأعداء مثخنة بالجراح . وكان لهولندا نشاط ملموس فى جاوة وبقية بلاد أندونيسيا ، كما نشطت إنجلترا فى الهند والسند - وهى الباكستان حالياً - وأخذ رجال النصرانية لا شغل لهم سوى التفكير فى هدم الإسلام من الداخل ، وعن طريق الكلمة الخادعة وطمس معالم الحق (الإسلام) وتزييف الباطل والترويج له . فأنشأوا المدارس والمعاهد لتخريج المبشِّرين ، وأصدروا المجلات العلمية التى وقفوها على شئون العالَم الإسلامى فى فرنسا ، وفى إنجلترا ، وفى ألمانيا . كما استفادوا من التطور العلمى فأنشأوا المحطات الإذاعية ، وألَّفوا الكتب والنشرات ، ثم استخدموا أشرطة الكاسيت لهذا الغرض . وما من وسيلة لتكوين الرأى إلا وأدخلوها فى برامجهم ، كالمدارس والإرساليات والجامعات والمؤسسات التى لها ظاهر خيرى كالملاجىء والمستشفيات والجمعيات الخيرية فى الظاهر ، وقد انتشرت هذه الوسائل فى لبنان ومصر وسوريا والبحرين وعُمان والسودان وبلاد شمال غرب إفريقيا الإسلامية العربية . أما فى البلاد الإسلامية غير العربية ، وبخاصة فى آسيا فإن جهود المبشِّرين تلقى رواجاً كبيراً ، وهم يعملون فى حرية أكثر مما يعملون فى البلاد الإسلامية العربية . بل إن بلاداً إسلامية فى آسيا مثل أندونسيا قد وُضِعت لها خطط

---

(١) الغارة على العالَم الإسلامى ص ١٢ - ١٣

زمنية ليعتنق شعبها خلالها النصرانية ويرتدُّوا عن الإسلام كليَّةً فلا يبقى منهم واحد على الإسلام ؟!

وقد اشتد نشاط التبشير فى البلاد الإسلامية منذ أوائل القرن العشرين الميلادى ، فبعد أن كان يتوارى عن الأنظار وهو يمارس ألاعيبه صار يعلن عن نفسه ، ولأول مرة ، بعقد مؤتمرات عالَمية أعمالها مقصورة على خدمة التبشير ودراسة جميع الأحوال للشعوب الإسلامية التى يراد غزوها دينياً .

ومن العجب أن أول مؤتمر تبشيرى يُعقد فى القاهرة عام ١٩٠٦ فى الرابع والعشرين من إبريل . ويكون مكان الانعقاد هو منزل الزعيم أحمد عرابى قائد الثورة العرابية ضد الإنجليز عام ١٨٨٢ . وكان أعضاء المؤتمر مندوبى إرساليات التبشير الأمريكية والإنجليزية والألمانية والسويدية والإسكتلندية والهولندية والدنمركية ، وعددهم بلغ ٦٢ عضواً ؟!

فما الذى طرأ على مصر وشعبها وقادتها وزعيم حركتها الوطنية أحمد عرابى ؟! إن الأمر يدعو إلى الحيرة حقاً . فليس الاحتلال العسكرى لبلد ما إسلامى بأخطر على أمنها وسلامتها وقيمها ودينها وخُلُقها من مثل هذا المؤتمر الذى عُقِد فى مصر فى بيت الزعيم الوطنى ليتآمر أعضاؤه على الشعوب الإسلامية ويعزلوها عن دينها وتاريخها . وإليك المسائل التى دُرِست فى ذلك المؤتمر بعد انتخاب القس « زويمر » رئيس إرسالية التبشير فى البحرين رئيساً للمؤتمر وعُيِّن له نائب رئيس وجهاز إدارى :

« ملخص إحصائى عن عدد المسلمين فى العالَم ، الإسلام فى إفريقية ، الإسلام فى السلطنة العثمانية ، الإسلام فى الهند ، الإسلام فى فارس ، الإسلام فى الملايو ، الإسلام فى الصين - المعلومات التى ينبغى إذاعتها بين المسلمين المتنورين (المثقفين) والمسلمين العوام - التنصر - الارتداد - وسائل إسعاف المتنصرين المضطرين - التبشير بين النساء المسلمات » ... إلخ .

هذه هى خطة مؤتمر التبشير الأول الذى عُقِد فى القاهرة فى ٢٤ إبريل

٦ . ١٩ وفى بيت زعيم الأمة الوطنى أحمد عرابى .. ؟! غريبة جداً تبدو هذه الواقعة أمام القارىء الآن ؟!

ولكن حين يعلم أن الذى كان يحكم مصر فى تلك الفترة هم الإنجليز وليسوا المصريين تزول الغرابة والحيرة والعجب .

إن الوظائف القيادية والحسّاسة فى الجيش والداخلية ، والقضاء ، والتعليم كان يتولاهم السادة الإنجليز ، وقَلَّ أن يُعيَّن مصرى واحد فى منصب قيادى اللّهم إلا إن كان عميلاً لسادة البلاد . وكان المصريون يعملون فى الوظائف الدنيا : سعاة بريد ، وسعادة مكاتب . وفراشين ؟!

وكان الجهاز الإدارى إنجليزياً محضاً . وكذلك الاستبداد بالجهاز الوظيفى كله ، ففى سنة ١٨٩٦ كان عدد الموظفين فى الحكومة المصرية (الإنجليزية فى الواقع) ١٣٢٧٩ موظفاً ، وكان عدد الموظفين الإنجليز منهم : ١٢٥٢ موظفاً فى مواقع قيادية بينما وُزِّعَ المصريون على الخدمات الصغيرة : عمال سكة حديد - تلغراف - سعاة بريد . وفى سنة ١٩٠٦ التى انعقد فيها مؤتمر التبشير فى القاهرة كان عدد الوظائف الإدارية العليا التى يشغلها الإنجليز ٦٩ وظيفة ، منها رياسة الجيش ، والقضاء ، والداخلية .. ؟!

ومعنى هذا أن مصر كانت فى ذلك الوقت ولاية إنجليزية من الناحية الفعلية . وكان المصريون مغلوبين على أمرهم إلى الحد الذى يجتمع أعداؤهم فى بلدهم مصر ، وفى بيت الزعيم عرابى ليخططوا هكذا علانية ضد الإسلام والمسلمين .. ؟! وفى حياة عرابى نفسه (توفى عرابى سنة ١٩١١) . وتتابع عقد المؤتمرات بعد ذلك ، فكان مؤتمر أدنبرج بإنجلترا عام ١٩١٠ ثم مؤتمر لكنؤ بالهند عام ١٩١١ ، ثم مؤتمر القدس عام ١٩٢٤ ، وعام ١٩٣٥

* *

● المسلم يتأبَّى :

ومن الحقائق التى كانت تُعرض وتُدرس فى تلك المؤتمرات الصعوبات التى كانت تقف فى طريق المبشِّرين . فقد وجدوا من الصعوبة أن يتحوَّل المسلم عن إسلامه مهما كانت المحاولات والمغريات . فالمسلم يتأبىٌ على كل محاولة لإخراجه عن دينه ، وقد عُرِفت هذه الظاهرة فى أثناء انعقاد مؤتمر القاهرة التبشيرى عام ١٩٠٦ فكان رد القس « زويمر » رئيس المؤتمر على هذه الشكوى أن قال : « ليس غرض التبشير التنصير فقط ، ولكن أقصى ما يجب على المبشِّر عمله هو تفريغ قلب المسلم من الإيمان باللّه » هذا ما قاله « زويمر » فى مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦

وفى مؤتمر القدس عام ١٩٢٥ ترددت نفس الشكوى بكل قوة . فالمبشِّرون يقرون أن من المحال إخراج المسلم عن إسلامه وإقناعه بعقيدة أخرى غير الإسلام .

* *

● خطبة زويمر :

وكان على « زويمر » أن يواجه هذه الظاهرة مرة أخرى بعد أن صار رئيس المبشِّرين فى الشرق كله ، بل كانوا يصفونه بأن الرسول المختار لتنصير العالَم الإسلامى . قام « زويمر » خطيباً فى مؤتمر القدس فقال :

« أيها الإخوان الأبطال ، والزملاء الذين كتب اللّه لهم الجهاد فى سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام . فأحاطتكم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدَّس ..

لقد أديتم الرسالة التى نيطت بكم أحسن أداء ، ووفقتم لها أسمى توفيق ... إننى أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين فى حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين . لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة :

* إما صغير لم يكن له من أهله مَن يُعرِّفه ما هو الإسلام ؟!

* أو رجل مستخف بالأديان لا يبغى إلا الحصول على قوته (طعامه وشرابه) ، وقد اشتد به الفقر ، وعزّت عليه لقمة العيش .

* وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية [١] .

ولكن مهمة التبشير التى ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها فى البلاد المحمدية ليست هى إدخال المسلمين فى المسيحية ... وإنما مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً لا صلة له باللّه (؟!) .

وبالتالى لا صلة له تربطه بالأخلاق التى تعتمد عليها الأمم فى حياتها (؟!) وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعمارى فى الممالك الإسلامية . وهذا ما قمتم به خلال المائة سنة الماضية خير قيام (؟!) وهذا ما أهنئكم عليه (؟!) وتهنئكم دول المسيحية والمسيحون جميعاً كل التهنئة » [٢] .

هذا الكلام يفصح عما يأتى :

أولاً : أن جهاز التبشير لم يكن جهازاً مستقلاً . بل كان خادماً للاستعمار ودوله المسيحية .

ثانياً : أن المبشِّرين لم يكونوا حَمَلة رسالة شريفة ، ولا دُعاة حق وفضل بل كانوا - وما يزالون - جهاز تدمير للأمة الإسلامية . ولو أنهم سَعْوا فعلاً لتنصير المسلمين على أساس هدايتهم إلى عقيدة هم مؤمنون بها - أعنى المبشِّرين - لالتمسنا لهم العذر ، ولكن ماذا يفيد المبشِّرين من تضليل المسلم وقطع صلته باللّه وتفريغ قلبه من الإيمان به ؟! هل لهذا العمل من تفسير سوى الحقد والحسد ؟ وهذا ما نبهنا إليه القرآن الأمين مرات ، ومن ذلك قوله تعالى :

---

(١) هذه الحقائق التى ذكرها زويمر هى خلاصة التقارير الميدانية التى كتبها المبشِّرون .. ومعنى هذا أن المسلم العارف ما هو الإسلام مستحيل أن يرتدّ عنه

(٢) جذور البلاء : عبد اللّه التل ص ٢٧٥

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ .. ﴾ (١) .

ثالثاً : أن التبشير نابع من المجتمعات المسيحية بكل طبقاتها ومستوياتها فليس هو هدفاً لرجال الدين وحدهم ، وليس هو هدفاً لحكومات الدول المسيحية ورجال الدين وحدهما . بل هو هدف لرجال الدين والحكومات المسيحية والشعوب المسيحية معاً .. (؟!) وإلا فما معنى أن توجِّه دول المسيحية والشعوب المسيحية التهنئة إلى المبشِّرين على لسان الدكتور القس « زويمر » البروتستانتى ؟ وما الذنب الذى جناه الإسلام والمسلمون نحو المسيحية والمسيحيين حتى يُعامَل الإسلام والمسلمون هذه المعاملة الصعبة الظالمة .

* *

● الفروق بين الغزوين :

قلنا : إن اشتداد غضب أوروبا على الإسلام ، واستماتة قوافل التبشير فى الكيد للإسلام والمسلمين كان من أسبابه البارزة الثأر لأنفسهم من الإسلام الذى غزا أوروبا بنقل حضارته إليها عن طريق البعوث العلمية التى كانت تفد على الأندلس الإسلامى وتتلقى العلم فى مدارس المسلمين ومعاهدهم ، وعن طريق الشرق كله خلال الحروب الصليبية ، وعن طريق صقلية فى عهد الأغالبة وبعدهم ، وعن طريق سوريا ، وعن طريق الترجمات من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية .

هذا كله صحيح ، وأكثر منه صحة .. أن الإسلام خدم أوروبا بما نقل إليها من علوم وفنون ومعارف وحضارة . خدمها ونقلها من عهود الجهل والظلام إلى عصر العلم والنور والرقى . إنه لم يدمر أوروبا ولكن أحياها ، ونفخ فيها من أسباب الحياة والرقى ما به تجاوزت أوروبا كل الأخطار التى كانت محدقة بها

---

(١) البقرة : ١٠٩

أو ناشبة فى داخلها ، ثم تنفست الصعداء وذاقت طعم الرقى وكحل أعينها النور وتبوأت ما تبوأت من منازل الصعود والرفعة .. !

الإسلام غزا أوروبا ؟ نعم . غزاها وعلّمها وغذّاها وهذّبها . أما الغزو التبشيرى والغزو الاستشراقى للشرق الإسلامى فلم يكن إلا بنيّة التدمير المتعمد ، والفساد والإفساد ، والضلال والتضليل فهل هذا هو جزاء المحسن ؟!

ومن التعاليم التى يؤمن بها الغرب المسيحى ، التى يسندونها إلى المسيح : « مَن لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » ومعنى هذا أن المسيح يدعو إلى التسامح والعفو ، والإعراض عن إساءة المسيئين ، فإذا كان هذا هو خُلُق المسيح عليه السلام مع المسيئين فماذا يكون خُلُقه مع المحسنين يا تُرى ؟

والإسلام أحسن إلى أوروبا ولم يلطم خدها الأيمن ولا الأيسر ، وحتى لو كان قد لطم فإن الواجب على آباء الكنيسة والحكومات والشعوب التى تؤمن بالأناجيل ، كان الواجب عليهم أن يغفروا للإسلام إساءاته .. فما بالك والإسلام محسن إليهم أروع ما يكون الإحسان ؟ فهل القوم يؤمنون بالإنجيل لفظاً ويكفرون به معنى ؟! حقاً إنه لأمر غريب ومريب . فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً ؟!

* *

● النتائج التى سعد بها زويمر :

ويتابع « زويمر » فى خطابه المشار إليه فيذكر النتائج الحميدة - عنده - التى حققها المبشّرون ضد الإسلام والمسلمين ، وهى وإن لم يكن من بينها إقبال المسلمين على المسيحية وتركهم دينهم ، فإن القس « زويمر » سعيد كل السعادة لما توصل إليه جيشه المنظم (المبشّرون) من فساد وإفساد فى البيئات الإسلامية ، وبين الشباب المسلم بالذات . فتراه يواصل خطابه قائلاً : « لقد قبضنا أيها الإخوان .. على جميع برامج التعليم فى الممالك الإسلامية ، ونشرنا فى تلك الربوع مكامن التبشير ، والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التى تهيمن عليها الدول الأوروبية والأمريكية ...

« إنكم أعددتم شباباً فى ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ؟! وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه المسيحية ؟! وبالتالى جاء النشء الإسلامى طبقاً لما أراده له الاستعمار ، لا يهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه فى دنياه إلا فى الشهوات ... » (؟) .

« إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه (؟!) وانتهيتم إلى خير النتائج (؟!) ويباركتكم المسيحية ، ورضى عنكم الاستعمار ؟! فاستمروا فى أداء رسالتكم ، فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرب » (١) .

ومرة أخرى نعود فنقول : معقول جداً أن يكون هدف التبشير الترويج لعقيدة ما هم بها مؤمنون . ولو كان ذلك صحيحاً لعددنا المبشِّرين دعاة إصلاح اجتهدوا فأخطأوا حين حسبوا أن ما يدعون إليه هو صواب من وجهة نظرهم . ولكن ليس من المقبول ، ولا من المعقول أن يُطلَق على المبشِّرين أنهم دعاة إصلاح مع أن هدفهم هو الإفساد والتضليل وهدم العقيدة الصحيحة والأخلاق الحميدة . فهم إذن من المفسدين فى الأرض وإن أطالوا لحاهم ولهجت ألسنتهم بذكر « الرب » وملأوا الكنائس والأديرة بقصد العبادة والخشوع . إنهم - وهذا منهجهم - لا رَبَّ لهم يعبدونه سوى الشيطان . فقد زيَّن لهم أعمالهم وأضلَّهم وهم يحسبون أنهم مهتدون : ﴿ اتَّخَذُواْ الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّخَذُوا آيَاتِى وَرُسُلِى هُزُواً ﴾ (٣) .

---

(١) جذور البلاء ص ٢٧٥ (٢) الأعراف : ٣٠ (٣) الكهف : ١٠٤ - ١٠٦

فالتبشير - إذن - خطر دينى وسياسى معاً ، وهو سلاح موجَّه ضد الإسلام والمسلمين ، والمبشِّرون لا يعتقدون أن المسلمين على باطل يجب إنقاذهم منه وهدايتهم إلى الحق ، ولكنهم يعتقدون أن المسلمين على الحق الذى لا يقبل الجدل ، لذلك فهم يعملون دائبين - أعنى المبشِّرين - لهدم ذلك الحق الذى عليه المسلمون . ولذلك - مرة أخرى - فإن نطاق الحرب التى يشنها هؤلاء الحاقدون على الإسلام والمسلمين لم يقف عند محور معيَّن ، ولكنهم ينقضُّون على الإسلام وعلى المسلمين من كل جهة يرون أنها مجدية لهم . وسيأتى تفصيل وإيضاح لهذه المساعى الماكرة فيما يُستأنف من الحديث حتى نهاية الكتاب .

* *

● **الاتجاه بالمؤتمرات وجهة أخرى :**

وحين تنبَّه المسلمون لخطر التبشير اتجه المبشِّرون بالمؤتمرات وجهة أخرى ، فبعد أن كانوا فى عواصم إسلامية كمصر والهند والقدس بدأوا يعقدونها فى عواصم مسيحية مثل مؤتمر كولارادو عام ١٩٧٧ بأمريكا ، ومؤتمر لوزان بإنجلترا عام ١٩٧٤ وكان لتحرر البلاد الإسلامية من الاستعمار تأثير فى هذا الاتجاه الجديد لقوافل التبشير .

* * *